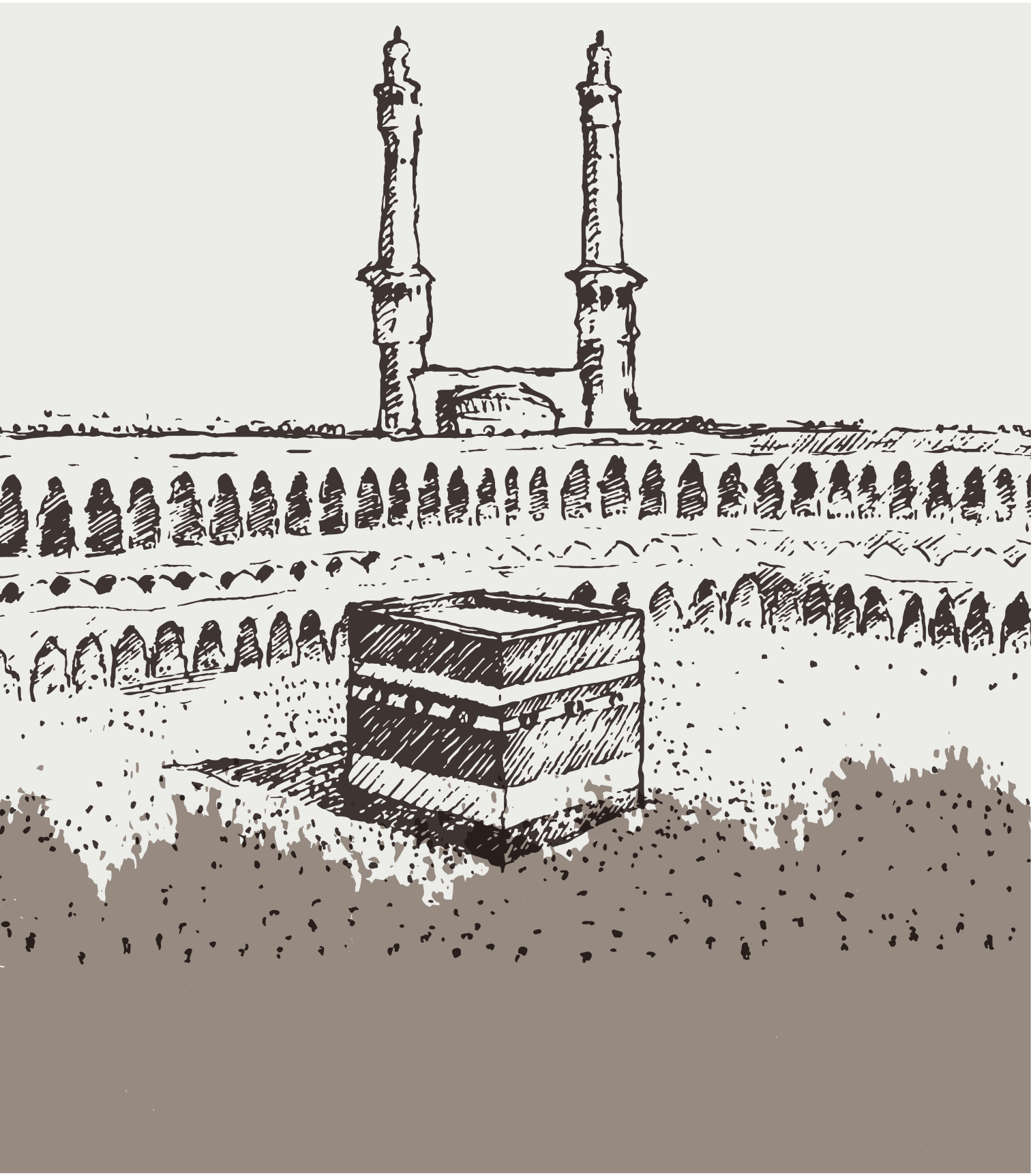

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ:

١ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ،

٢ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ،

٣ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ،

٤ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا،

٥ وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ،

٦ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»(١٤٦).

(١٤٦) رواه البخاريُّ (٦٥٠٢).

آيات

- ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].
- ﴿إِنَّ وَلِيِّىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦].
- ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٤].
- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج: ٣٨].

الراوي

هو: عبدُ الرحمنِ بنُ صَخرٍ الدَّوسيُّ، الأزْديُّ، اليَمانيُّ، مشهور بكُنيته، وهذا أشهر ما قيل في اسمه واسم أبيه، أسلَمَ عامَ خَيبَرَ، وشهِدَها مع رسول الله ﷺ، ثم لَزِمه وواظَب عليه؛ رغبةً في العلم، من أحفَظِ أصحابِ رسول الله ﷺ، وَلِيَ البحرين مُدَّةً لعمر بن الخطاب ﷺ ثم ترك ذلكَ. توفي بالمدينة سنةَ (٥٨هـ)(٢).

خلاصة

يخبر ربُّنا سبحانه وتعالى عن دفاعه عن أوليائه وقُربه من عباده الصالحين وتودُّده لهم.

١ يخبر ربُّنا جلَّ جلاله أنَّه يدافع عن عبادِه المؤمنين، فمن **خاصَم وآذى** وليًّا من أولياء الله - وهم **عبادُه الصالحون الذين حقَّقوا إيمانهم بالطاعات فتولَّى ربُّهم أمورَهم** - فقد **أنذرَه** اللهُ تعالى بالحرب انتقامًا لأوليائه ودفاعًا عنهم. ومَن يقدر على حربِ اللهِ سبحانه؟!

٢ ثم بيَّن سبحانه أنَّ أفضلَ ما تقرَّب به العبدُ إلى مولاه أداءُ الفرائض التي افترضها عليه؛ فإنَّه جلَّ جلالُه ما افترض عليه الطاعات وحرَّم عليه المعاصي إلا ليُقرِّبه منه.

٣ فإذا حرص العبدُ على الفرائض ثم تقرَّب إلى ربِّه سبحانه **بالعبادات التي لم يفرضها عليه وندبه إليها** - كسُنَنِ الصلاة والصيام والصدقات والمداومة على الأذكار وقراءة القرآن وقضاء حوائج النَّاس ونحو ذلك - أحبَّه اللهُ تعالى.

٤ فإذا أحبَّه سبحانه حَفِظَ عليه حواسَّه؛ فلا يسمع إلَّا ما يُرضي اللهَ تعالى، ولا يُمدُّ بصرَه إلى حرامٍ، ولا أطلق يدَه في ما لم يأذن به الشرع، فلا تأخذ ما ليس لها، ولا **يضربُ** بها إلا في حقٍّ، ولا تمشي رِجلُه إلى معصيةٍ من المعاصي. وهذا كقوله ﷺ: «احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ»(١٤٧).

٥ كما أنَّ من عظيم جزاءِ أولياء الله الذين يحبهم ويحبونه، أنَّهم إن دَعَوْهُ أجاب دعاءهم وأعطاهم سؤالهم أيًّا كان، **وإن لجؤوا إليه خائفين من شرٍّ أو أذًى أذهبَ عنهم ما يخافون وأجارهم**. قال ﷺ: «إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ»(١٤٨).

٦ ثم أخبر سبحانه أنَّه يحبُّ ما أحبَّ المؤمنُ، ويكره أن يُصيبَه بشيءٍ يؤذيه، **حتى الموت الذي كتبه اللهُ تعالى على جميع خلقه وأراده لهم يكره أن يصيبَ به عبدَه المؤمن لكراهيته له وخوفه منه، فصار الموتُ مرادًا لله تعالى من وجهٍ مكروهًا من آخر، وهذه حقيقة التَّردُّدِ، فإنه سبحانه يقضي على عبدِه المؤمن بالموت مع حبِّه له وكراهية مساءتِه، بخلاف الكافر؛ حيث يُبغضه اللهُ تعالى ويريد مساءته**(١٤٩).

---

(١٤٧) رواه وأحمد (٢٦٦٩)، والترمذيُّ (٢٥١٦).

(١٤٨) رواه البخاريُّ (٢٧٠٣)، ومسلم (١٦٧٥).

(١٤٩) «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (١٨/ ١٣٠).

وكراهيةُ العبدِ الصالح للموتِ إنَّما هي الجِبِلِّيَّة التي خلقَ اللهُ سبحانه النَّاس عليها؛ فهم يخافون من الموت ولا يحبونه، إلَّا أنَّه إذا حضره أجلُه بشَّرَه اللهُ تعالى بما له من النعيم في الآخرة، فلا يكون شيءٌ أحبَّ إليه من الموتِ حينئذ، قال ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ» قَالَتْ عَائِشَةُ أَوْ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ: إِنَّا لَنَكْرَهُ المَوْتَ، قَالَ: «لَيْسَ ذَاكِ؛ وَلَكِنَّ المُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ المَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ وَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الكَافِرَ إِذَا حُضِرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَعُقُوبَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ»[١٥٠].

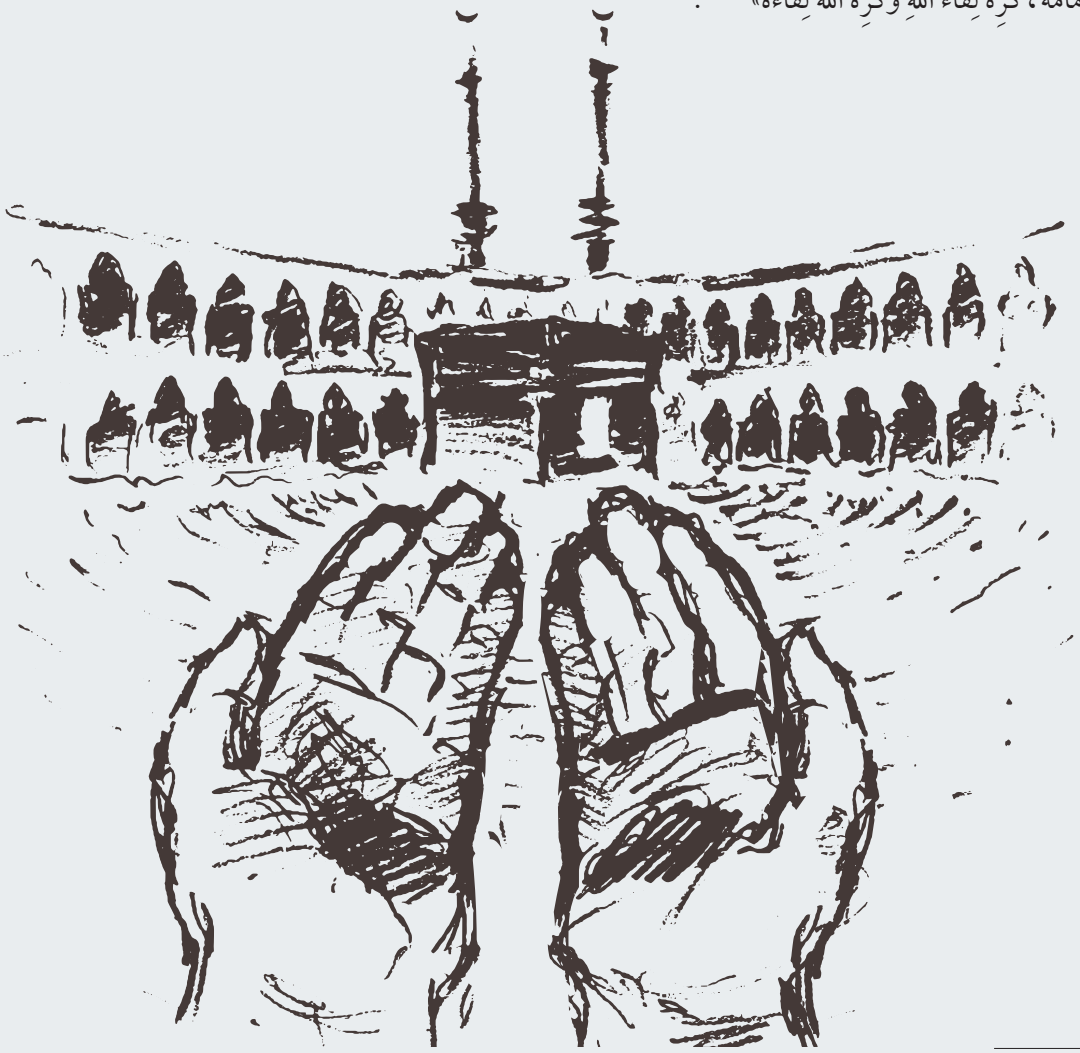

(١٥٠) رواه البخاريُّ (٦٥٠٧)، ومسلم (٢٦٨٣).

١ (١) مَن سرَّه أن يلجأ إلى ركنٍ حصينٍ لا يضرُّه معه شيءٌ فليعتصم بحبلِ اللهِ؛ فإنَّ الجبَّارَ هو الذي يتولى الدفاع عن أوليائه.

٢ (١) إذا كان اللهُ تعالى معك، فمن ضدُّك؟ ومَن يقوى على حربِ اللهِ تعالى؟!

٣ (١) الولاية ليست بالادِّعاء، وإنَّما بالإيمان والتقوى وحسن التوكل على الله تعالى، وإلَّا فكم من شقيٍّ ادعى أنَّه وليٌّ من أولياء الله تعالى!

٤ (١) الطريق الوحيد للولاية إنما هو باتباع شرعه الذي أتى به رسوله ﷺ، وإلا فاليهود والنَّصارى زعموا أنَّهم أولياء اللهِ وأحباؤه، وهم مُكَذِّبون برسوله مُعرضون عن شرعه.

٥ (١) إياك ومحاربةَ أولياءِ اللهِ تعالى؛ فإنَّك لا طاقة لك على حربِ اللهِ تعالى.

٦ (٢) إذا أردتَ القربَ من اللهِ تعالى ونَيلَ محبَّته فائتمر بما أمرك، وانتهِ عمَّا نهاك عنه؛ فإنَّ حقيقة المحبة موافقة المحبوب والخضوع لأمره.

٧ (٢) إياك أن تدَّعي المحبةَ وأنت لاهٍ في لهوك منصرفٌ عن طاعة حبيبك؛ فالمُحِبُّ لا يطمئنُّ إلَّا إلى ما يحبُّ حبيبُه ويرضاه.

٨ (٢) قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله في خُطبته: «أفضلُ العبادة أداء الفرائض، واجتنابُ المحارم؛ وذلك لأنّ اللّه عزّ وجلّ إنّما افترض على عباده هذه الفرائض ليقرِّبَهم منه، ويوجب لهم رضوانه ورحمته»(١٥١).

٩ (٣) تقرَّب إلى الله تعالى بأنواع النوافل والسُّنَن المستحبات؛ فمن أدَّى الفرائضَ واجتنب المعاصي ثم سارع في أداءِ ما يُحبُّه اللهُ تعالى مما لم يكتبه عليه، استوجبَ محبَّةَ اللهِ تعالى له.

١٠ (٣) لا تُفَرِّط في أداء النوافل؛ فإن الله تعالى أثنى على أنبيائه وأوليائه بقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

---

(١٥١) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (٢/ ٣٣٦).